مهمّاتٌ تربويّة

تقديم

أنا هيّ بنت عيد السمري

غفر الله لها ولوالديها

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.

- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

- الكمال لله -عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء الحادي والعشرون
سورة الروم 30 - 35

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، ونسأله بمنّه وكرمه أن يجعل القرآن الكريم ربيعًا لقلوبنا، ونورًا لصدورنا، وجلاء لأحزاننا وهمومنا، اللهم آمين.

لا زلنا بفضل الله نتذاكر سويًا حديث النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-: «إن للهِ أَهلِين من الناسِ قالوا: من هم يا رسولَ اللهِ؟ قال: أهلُ القرآنِ هم أهلُ اللهِ وخاصتُه.»[1] أخبرهم -صلَّى الله عليه وسلَّم- بهذا الخبر العظيم الذي هو مسلك المؤمنين، وتبين لنا الطريق فما بقي إلا أن نكون من سالكيه، أن نعرف أن لله أهلين وهم أهل القرآن المتفهمين له، المقبلين عليه، العاملين به، وقد مر معنا في حديث النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- سؤال المقبور: من ربك، ما دينك، من نبيك؟ فإذا وفق في هذه الإجابات، إذا ثبت في هذه الأسئلة، سألوه السؤال الرابع، والأخير، وهو من أين لك أن تعرف هذا؟ كما في الحديث: «ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟

---

[1] () أخرجه ابن ماجة (215)، وأحمد (12292).

فيقول: ربي الله، فيقولان: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ قال: فيقول: هو رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم، فيقولان: وما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت». وهذا الحديث في سنن أبي داوود والنسائي وأحمد وهو حديث صحيح.

في مقابل -نسأل الله أن يحمينا ويحفظنا- أن الذي يكون منافقًا، أو الكافر يقول: "لا أدري"، إلى أن يقال له "لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ"، لا تعلمت ولا اتبعت المتعلمين.

ومن هذا كان الواجب علينا أن نجعل شهر القرآن شهر مصاحبة القرآن، أن نجعل شهر رمضان، الشهر الذي نزل فيه القرآن شهر مصاحبة القرآن، فننطلق بهذه المصاحبة في رمضان وبعد رمضان، نسأل الله أن يثبتنا ونحن سائرون في الطريق إليه، سامعون كلام رب العالمين، منتفعون به؛ لذا من كان يريد أن يكون من أهل القرآن، من أراد أن يكون من الثابتين في سؤال القبر، من أراد أن يكون من أهل الله وخاصته، فليُقبل على هذا القرآن إقبال من يريد أن يعرف ماذا عليه أن يفعل، ماذا يجب عليه أن يعتقد، حتى يستغني بالقرآن عن غيره؟ ونحن في هذه اللقاءات، نسأل الله -عزَّ

وجلَّ- أن يجعلها خالصة له، نبذل جهودنا أن نتدارس آيات من كتاب الله -عزَّ وجلَّ- لتكون طريقنا في النظر إلى الأمور، وفي أعمال القلوب وفي أعمال الجوارح. ومن ذلك ما نتدارسه اليوم في سورة الروم العظيمة التي أتت بعد سورة العنكبوت، وكنا في لقائنا الماضي تباحثنا في مطلع سورة العنكبوت وكيف أن الله أخبرنا وأمرنا، أخبرنا بأنه لا بد من الفتنة، وأمرنا أن نكون في هذه الفتنة مستبصرين، أن نكون في الفتن ثابتين، أن نكون في الفتن عالمين، فنرجو لقاء رب العالمين.

(مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ). وأخبرنا في آخر سورة العنكبوت، خبرًا يتضمن أمرًا (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا) هذا هو الأمر، أن تكون باذلًا قصارى جهدك، يترتب على ذلك (لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) يهدي الله سبيله من جاهد في سبيله.

ورتب أيضًا على ذلك أمرًا آخر (إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)، فالذين جاهدوا في الله هم المؤمنون، المحسنون، الذين يصبرون على الفتن والأذى، ومدافعة كيد الأعداء من شياطين الإنس والجن، فهؤلاء يجاهدون في مرضاة رب

العالمين. هؤلاء الله -عزَّ وجلَّ- ضمن لهم الهداية، هداية الدلالة، فيعرفون الحق، وهداية التوفيق فييسر لهم أن يكونوا على الحق، ويزيدهم الله هدى، ويهديهم إلى سبل الله، الأعمال الموصلة إلى رضاه، سبل، طرق، سبل رضا رب العالمين شُبهت بالطرق الموصلة إلى منزل كريم، المكرم للضيف، فمن جاهد يهديه الله للسبيل الموصلة إلى رضاه، ثم يكون هذا الأمر العظيم وهو معية رب العالمين للمحسنين الباذلين، الذين يبذلون جهودهم في أن تكون أعمالهم أحسن ما يكون، أعمال قلوبهم وأعمال أبدانهم، كما أنهم يبذلون جهودهم في حسن عقيدتهم.

هذا الذي سمعناه في سورة العنكبوت أتت سورة الروم تؤيده وتبينه وتوضحه، ومن ذلك ما سنقف عليه في الآية: (30) من سورة الروم، يخبرنا فيها -عزَّ وجلَّ- عن سبله التي يجب أن نسلكها والطرق التي أراد رب العالمين منا أن نسير فيها ونجاهد، فبعد شوط طويل من أول السورة بيّن فيه الله -عزَّ وجلَّ- الأدلة الدالة على كماله وجلاله وعظمته، فنصب لنا الأعلام وأوضح لنا الخفايا، وصرح لنا في دلالة كل ما هو حولنا من ليل ونهار، من زرع وضرع، بأفصح ما يكون من عبارة، ثم أقبل -سبحانه وتعالى- على خلقه

المقبلين، وعلى رأسهم رسولنا الكريم، فخاطبنا بهذا الخطاب العظيم: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا)، بعدما رأيت هذه الأدلة العظيمة وسمعت هذه الخطابات التي تحرك النفوس الصادقة التي تريد الحق. نسمع هذه الآيات، نسأل الله أن ينفعنا بها ثم نناقش ما يتيسر لنا منها:

(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (30) ۝ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (31) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (32) وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (33) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (34) أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ)

هذه الآيات الكريمات ابتدأت بقوله تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا) بعدما عرفت أحوال المعرضين للحق (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ)، ولا تهتم بإعراضهم، ولا تغتم لذلك، فإن طالب الحق الصادق في ذلك سيجد فطرته السوية تدله على

ذلك؛ لأن هذا الدين حنيف (فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ). وهنا وقفات في غاية الأهمية في هذه الكلمة العظيمة (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ) فيها من الإشارة إلى الإخلاص، وفيها إشارة إلى المجاهدة ما فيها.

(فَأَقِمْ وَجْهَكَ) اجعل قصدك كله للدين بحيث أنك لا تلتفت إلى غيره، ولا تنفك عن مراقبة قلبك إلى أي جهة يتجه؛ لأن من اهتم بشيء سدد له نظره وقوّم له وجهه، فهنا يراد أن تراقب قصدك، وتنظر إلى قلبك وترى اتجاه هذا القلب إلى أين، فكل مرة يميل أقمه، اجعله قائمًا، أقبل بكليتك على الدين، وكأن قلب الإنسان له وجه، وهذا الوجه هو الذي يوجه البدن، فاجعل وجهك متوجهًا إلى الدين، وانشغل به، وقوّم حالك في كل مرة تتحرك فيها، أقبل بكليتك على الدين وراقب نفسك في ذلك، ونكرر هذه الجملة لما لها من خطر؛ لأن الأمر يحتاج إلى مزيد عناية وتقويم، واجعله مستقيمًا دائمًا متوجهًا، وكأن هنا استعارة تمثيلية، ربنا يقرب لنا هذه الصورة، كأن الإنسان المأمور بالتمسك بالدين ورعاية حقوقه وعدم مجاوزة حدوده والاهتمام بأموره، بمن أُمر بالنظر إلى أمر، قيل له انظر إلى هذا وعينه مركزة فيه، وموجه كل بصره ووجهه إلى هذا الأمر ليراعيه ويهتم به،

ويهتم بحفظه، فكأنه شخص مأمور أن يعتني بشيء فمركز فيه وعينه عليه ووجهه لا يتحرك يمنة ولا يسرة، لا يعطيه طرف بصره، بل وجهه كاملًا ينظر إلى هذا الأمر ليراعيه، يهتم به، يحافظ عليه. هذا يشبهه الذي أُمر بالدين أن (أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا) راعِ حقوقه، لا تجاوز حدوده، اهتم به، اعتنِ بعمل قلبك فلا ينصرف عن الإخلاص، اعتنِ بعمل الجارحة فلا تتعدى سنة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- واسأل هنا: ماذا فعل النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- ؟ ماذا قال النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- ؟ بماذا أمر النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- ؟ واسأل قلبك: ماذا تريد؟ من تقصد؟ هل خِفت مكان الخوف؟ هل رجوت مكان الرجاء؟ وهكذا حتى يستقيم شأن العبد، وهذه هي فطرة الله.

(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا)، والحنيف: المائل. فكأن هذا الإنسان الذي موجه بصر قلبه وبصر عينه تجاه الدين، كأنه مائل مع الدليل، هيّن، لين، منقاد، عنده بصيرة؛ يفكر وينظر وتجده سريع الانتقال إلى ما يأمر به الشرع في كل زمن، وفي كل حال.

إذًا حنيفًا مائلًا مع الدليل، معرضًا عن ضده، وما يصير مع الدليل مائلًا دائمًا ويترك كذا ويذهب إلى كذا ويميل من هنا وفي كل وقت يعرف ما الوظيفة فيفعلها إلا عندما يكون هينًا لينًا، نير البصيرة، قويًا في التفكير، ينتقل حيث نقله الدليل. إذًا هذا مقيم وجهه في غاية التركيز وحنيف مائل مع الدليل، الدليل ينهاه عن الشرك، عن البدعة، عن الإثم، عن الرياء فهو يميل عنها، وهكذا أسهل شيء في الانتقال، وأسرع شيء في الانقياد.

وهذه هي فطرة الإنسان التي فُطر عليها، فُطر على أنه ما دُلّ على خير، علم أنه خير، إلا سارع إليه وكان سهلًا مطواعًا، والذي يريد أن يفهم الفطرة فلينظر إلى الطفولة، فإن الناظر لشان الأطفال يجدهم لا يُرغبون في خير إلا ويقبلون عليه، ولا يُخوفون من شر إلا ويذهبون عنه، حتى يتسلط عليهم شياطين الإنس والجن فيقسون قلوبهم. شأن الفطرة عظيم له موضعه في النقاش.

(فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ) والمعنى لن تتغير هذه الفطرة لأن عقل إدراك كل إنسان له قواعده التي لا تتغير أبدًا لكن الناس يخدعون، يخدعهم

شياطين الإنس والجن فيزينون لهم، فالفطرة باقية، ما في عقل الإدراك من قوانين وقواعد باقٍ، لكن يُغر الإنسان فيظن نفسه سائرًا على هذه القوانين؛ ولذلك «فأبواه يُهوِّدانِه أو يُنصِّرانِه أو يُمجِّسانِه»[2] أبواه يقنعانه بأن هذه الأفكار توافق الفطرة، فيرى عدلًا الشرك، ويرى ظلمًا التوحيد. بمعنى أبواه يخدعانه فيجعلون العدل المحبوب عنده هو الشرك، والظلم المبغوض عنده هو التوحيد. وهذا يحتاج إلى مزيد بيان منفرد.

(ذَٰلِكَ الدِّينُ) المأمور به، الموافق للفطرة هو الدين القيم المستقيم الذي لا عوج له، هو الدين المنجي لأصحابه، هو الدين المصلح لنفوس الخلق ولمجتمعاتهم، هذا هو الدين الموافق للفطرة الذي ينفع الخلق، لكنهم يحتاجون -كما هو متبين في آخر سورة العنكبوت- أن يجاهدوا ليبقوا على هذا الدين القيم الذي لا عوج فيه.

(وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) كسلوا عن المجاهدة، واستسلموا لأهوائهم فأصبحوا بحال كأنهم لا يعلمون، بحيث أنهم أصبحوا لا يميزون بين الحق والباطل لما غلب عليهم من الهوى، وأصبحوا لا يعلمون أن هذا الدين، وإن كان فيه

---

[2] () أخرجه البخاري (1385).

مجاهدة وتعب، لكن هذا الدين هو الذي سيقيم لكم دنياكم وأخراكم، وسيصلح لكم نفوسكم، وسيبعد عنكم الشر والضر، ومن ورائه سيكون الأمن والأمان، (أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)[3] أمن في القلوب، لا شك ولا ريب، أمن في الأوطان بمنّة الرحمن.

هذا الدين القيم الذي يقيم أحوالكم الذي تحتاجون أن تجاهدوا لكي تكونوا عليه مستقيمين. ويحتاج منكم هذا الدين أيضًا من أجل أن تكونوا من أهله أن تكونوا (مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ)، منيبين راجعين مرة بعد مرة بجذب أنفسكم إلى الطريق السوي السليم.

إذًا رب العالمين يريد منّا أن نقيم وجهنا للدين معتقدين أن هذا هو الدين القيم (مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ) -سبحانه وتعالى- والمنيب هو الملازم للطاعة. وكلمة منيب -والله أعلم- أصلها من النوبة، مثلما في حديث عمر -رضي الله عنه-: كُنْتُ أَنَا وجَارٌ لي مِنَ الأَنْصَارِ في بَنِي أُمَيَّةَ بنِ زَيْدٍ وهي مِن عَوَالِي المَدِينَةِ وكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ علَى رَسولِ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلَّم- يَنْزِلُ يَوْمًا وأَنْزِلُ يَوْمًا. كأن المنيب له نوبة يرجع فيها. وهنا أطلق على المطيع أنه منيب لأنه يتعهد نفسه ويتعهد طاعته

---

[3] () الأنعام: 82.

بصورة متكررة. كأننا نتصور أن القلب مكانه في مستودع، وهذا المنيب يعود لقلبه ليتأكد أنه مخلص، أنه خاشع، خاضع، متذلل لله، ويعود له مرة أخرى، في كل مرة سيرجع سيكون منيبًا، تكثر حاجات القلب نريد أن نتأكد أننا مخلصون، معظمون، محبون، فكل مرة نرجع فيها للقلب ستكون نوبة، فحينما تكثر النوبات كأن الإنسان يكون في مواصلة للطاعة وملازمة لها ومداومة لها. وعندما يجد نفسه مخالفًا، يتوب.

نتصور أنه كثير العودة إلى قلبه، يؤكد عليه الوظيفة التي يجب أن يعملها، يراجع حالته، خضوعه وخشوعه، وإذا وجد نفسه مقصرًا تاب، وسيبقى ملازمًا للطاعة والتوبة.

فهذه الحال التي يريد منا رب العالمين أن نكون عليها، نقيم وجهنا للدين حنيفًا، نعتقد أن هذا الدين هو الموافق للفطرة وهو الدين القيم، ونكون في هذا منيبين، والإنابة ستجمع بين المداومة على الطاعة ومداومة التوبة؛ لذلك في سورة ق قال تعالى: (مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ) هذا القلب المنيب مداومًا على الطاعة وحينما يجد نفسه مقصرًا، يصبح مداومًا على التوبة، والله أعلم.

ثم يأتي بعدها أمر مهم: (وَاتَّقُوهُ) والتقوى من الأمور العظيمة جدًا التي تجعل الإنسان دائمًا عائدًا إلى الطريق، (مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ) راجعين مرة بعد مرة إلى رب العالمين، ونحن خائفون (وَاتَّقُوهُ) خافوا أن تزيغوا عن سبيله وأن يخطفكم الشيطان من طريقه، خافوا من هذا لأن النفس سريعة التقلب؛ لذلك داوموا على الطاعات، أكثروا من التوبة، خافوا فاتقوه، خافوا أن تنحرفوا عن الطريق، خوفكم سيجعلكم غير مطمئنين لنفوسكم، خوفكم سيجعلكم كثيري سؤال الله: «يا مقلِّبَ القلوبِ ثبِّت قلبي على دينِكَ»[4].

ثم أتى هذا الأمر العظيم، الذي هو لب الدين، وما ينفك عنه الإنسان في أي حال من الأحوال وهو إقامة الصلاة (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) وإقامة الصلاة معنى عظيم يحتاج دائمًا إلى مراجعة، فإن مقيمي الصلاة لا بد أن يكونوا حريصين عليها، شاعرين بأن الله أنعم عليهم بها؛ لذلك قد ورد في بعض الآثار إن الأصحاب الكرام لما عرفوا عن الصلاة وأنها فرضت عليهم خمس صلوات، قالوا: "قضيت الحاجات!" يعني أن هذا العبد الذي يعلم أنه سيلقى ربه، وأنه سيقف بين يديه وسيسأله ويرجوه، لما علم هذا وعلم أن ربه هو الملك

---

[4] () أخرجه الترمذي (2140).

العظيم، علم أن الحاجات قُضيت؛ لذلك كلمة الصلاة في أصلها عند العرب: الدعاء، معنى ذلك أن المصلي في حقيقة حاله يدعو ويطلب. وهذا يجعلنا نقف أمام هذا الأمر المهم، الصلاة التي هي في أصلها الدعاء، ونحن في هذه الليالي المباركة أحد أهم وظائفنا التي نرجو أن نوفق فيها الصلاة وما يتضمن ذلك من الدعاء، سواء كان دعاء العبادة أو دعاء المسألة، وهذا يجعلنا نهتم بمناقشة هذا الأمر، خصوصًا أن الدعاء في الأصل هو أعظم العبادات، قال تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)[5]، وقال رسول الله: «الدُّعاءُ هو العبادةُ»[6]، والمصلي داعٍ لذلك يقول أهل العلم: "إن الدعاء هو دعاء العبادة ودعاء المسألة"، والمقصود بدعاء العبادة أن كل العبادات تدخل في كونها دعاء، باعتبار أن كل العبادات فيها معنى الطلب؛ لأن العابد يقف بين يدي الله طالبًا رضاه، وهو في غاية الذل والحب والخضوع. فأهل الإيمان يعلمون أنهم إذا عبدوا الله فهم يطلبون رضاه. دعاء المسألة هو ما نسأله الله لأنفسنا، فالمصلي من أن يبدأ الفاتحة وهو يطلب من الله أن يهديه الصراط المستقيم، وفي صلاته كاملة هو

---

[5]() غافر: 60.

[6]() أخرجه أبو داود (1479).

داعٍ، سائل الله. وقد ورد في الحديث عن ابن عباس أنه قال: "رأيت رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم- يدعو بعرفة يداه إلى صدره كاستطعام المسكين"، في غاية من الذل والخضوع والافتقار إلى الله عزَّ وجلَّ.

فالإنسان في عبادته يظهر ذلّه لربه ويخضع له وهو يطلب منه؛ لذلك أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد؛ لأن فيه تمام الخضوع لله عزَّ وجلَّ؛ لذلك النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- قال: «أما الركوعُ فعظِّموا فيه الربَّ، وأما السجودُ فاجتهدوا فيه في الدعاءِ، فإنه قَمِنٌ أن يُستجابَ لكم»[7]. وكما قال الله في سورة الروم (وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) فيحصل في إقامة الصلاة من الخضوع والذل ما يجعل هذا العبد أقرب ما يكون إلى ربه وأحرى بالإجابة؛ لذلك الدعاء هو العبادة، وإقامة الصلاة من أعظم أنواع العبادة، معنى ذلك أنها من أعظم أنواع الدعاء، في الصلاة نحن ندعو الله بلسان الحال وبلسان المقال، نفس صلاتنا نوع من طلب الله أن يغفر لنا ويرحمنا ويقبلها منا ويجعلها في موازين حسناتنا، وفي نفس الصلاة نحن ندعو رب العالمين، وعبودية الدعاء متمثلة في الصلاة، كما هو واضح في هذا النص.

---

[7] () أخرجه مسلم (479).

فنحن قرأنا في آية سورة الروم (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا) واعلم أن هذه فطرة الله وأن هذا الدين القيم، وكن منيبًا إلى الله وخائفًا من الله وأقم الصلاة، هذه المسألة العظيمة، (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) كأنها دعوة إلى قوة التعلق بالله ودعائه -سبحانه وتعالى- دعاء العبد المسكين الضعيف الفقير، الذي هو في غاية الفقر؛ لذلك نقف هنا على عبوديات الدعاء التي تظهر في عباداتنا كلها وخاصة الصلاة؛ لأن الدعاء يتضمن مجموعة من العبوديات:

الأولى: الدعاء يتضمن إظهار الفقر لله تعالى، والاعتراف بهذا الفقر، ما وقف المصلي يصلي ولا وقف السائل يسأل، إلا وهو محتاج إلى الله -سبحانه وتعالى-، مُظهر احتياجه وفقره إلى الله، لا يزال المصلي متلبسًا بإظهار الفقر لله، ومتلبسًا بمعنى قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)[8].

الثانية: الداعي الذي يقف يسأل الله، والمصلي الذي بصلاته يسأل الله، سؤاله هذا فيه من التبرؤ من الحول والقوة إلى حول الله وقوته ما فيه، فكأن العبد يقول: "يا رب أنا لا أستطيع أن أقضي حوائجي ولا أصلح نفسي ولا أصلح

---

[8] () فاطر: 15.

ذريتي ولا أقوى على طاعة وعبادة إلا بقوة منك، لا أستطيع أن أحمل قلبي على الخشوع إلا بعطية منك، فأنا متبرئ من حولي وقوتي إلى حولك وقوتك!"

الثالثة: هذا الدعاء في الصلاة أو في خارجها يتضمن اعترافًا بكرم الله، فيسأله السائل وهو متأكد من أن الله كريم لا يرد من سأله، بل إن الله يعطيه فوق ما سأل. فيكون الداعي معترفًا بكرم الله؛ لذلك يقف بين يديه مصليًا منكسرًا ذليلًا سائلًا وهو مطمئن أن الله كريم.

الرابعة: ومتضمن أيضًا اعترافه بأن الله غني، فإن السائل لا يسأل إلا من يطمئن إلى غناه، والله الغني وأنتم الفقراء. وسع ملكه كل شيء، سبحانه وتعالى، وأدلة غنى الله أكثر من أن تعد: (وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ)[9]، (وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ)[10]. نسمع بتكرار في القرآن (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)[11]. نسمع في كلام النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- «يا عِبَادِي، لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا في صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فأعْطَيْتُ كُلَّ إنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ؛ ما نَقَصَ ذلكَ ممَّا

---

[9] () الأنعام: 133.
[10] () لقمان: 12.
[11] () النساء: 126.

عِندِي إلَّا كما يَنْقُصُ المِخْيَطُ إذَا أُدْخِلَ البَحْرَ»[12] أدلة غنى الله كثيرة يستحضرها الإنسان ويقف بين يديه مصليًا راجيًا داعيًا وهو مطمئنًا من أنه وقف بين يدي الغني الكريم.

ثم من العبادات العظيمة التي يكون الداعي المصلي السائل متلبسًا بها وقت سؤاله ودعائه وصلاته:

الخامسة: عبودية الاعتراف بعلم الله الشامل، وأن الله مطلع عليه، مطلع على ما في قلبه، مطلع على حركات قلبه وسكناتها، على صدق قلبه وإرادته، على ما في قلبه من الشعور بفقره واليقين بغنى الله، هذه العقائد التي تكون في قلبك وأنت تدعو، أنت تعبد الله بأنك مطمئن أنه يعلمها، يعلم مقدار فقرك، مطلع على قلبك -سبحانه وتعالى- على خضوعك وخشوعك.

السادسة: عبودية الاعتراف بسمع الله، يكون الإنسان مطمئنًا أن الله يسمع همس صوته، بل وصوت قلبه، فهو -سبحانه وتعالى- السميع البصير.

السابعة: عبودية الاعتراف بقرب الله -عزَّ وجلَّ- فهذا المصلي الداعي السائل، كأنه يتمثل قوله تعالى: ﴿إِذَا سَأَلَكَ

---

[12] () أخرجه مسلم (2577).

عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ)[13]، فيرفع يديه وهو مطمئن أن ربه قريب.

الثامنة: عبودية الاعتراف والإقرار بقدرة الله تعالى؛ لأن الإنسان إذا لم يكن متيقنًا بقدرة الله أن يعطيه ما سأله، لن يكون في قلبه قوة على السؤال، لكن هذا المؤمن متأكد من أن الله على كل شيء قدير؛ لذلك هنا تأتي الإشارة إلى مسألة الاعتداء في الدعاء، يعتدي أحد في الدعاء فيسأل الله أن يحيي ميتًا! الله قادر على أن يحيي الميت، بل هو على كل شيء قدير، بل سيحيي الخلق عندما تقوم القيامة، لكن جعل الله للدنيا سننًا، فلا تسأل الله سؤالًا تطلب فيه خروج الدنيا عن سننها، هذا سوء أدب واختبار لله، نستغفر الله ونتوب إليه! الداعي يسأل الله وهو مؤمن بقدرة الله، وهذه عبودية عظيمة، وكل من هذه العبوديات يؤجر الإنسان عليها.

التاسعة: من العبوديات المهمة في هذا الموقف عبودية الاقتداء بالنبي، -صلَّى الله عليه وسلَّم- . فإن النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- كان من شأنه الصلاة وكان من شأنه الدعاء، بل كانت صلاته فيها من الحسن والجمال وإقامة العبوديات حتى أنه -صلَّى الله عليه وسلَّم- يصلي حتى تتفطر قدماه.

---

[13] () البقرة: 186.

وهنا تأتينا العبادة العاشرة وهي: أن العابد السائل لله -عزَّ وجلَّ- الطالب منه يعبد الله بالشكر، عندما يقف ويطلب من ربنا ويسأله، يشكر الله في ضمن سؤاله هذا عما مضى، بطريقة سهلة، كأنه يقول بلسان حاله: "يا رب كما استجبت لي فيما سبق وكما أعطيتني فيما سبق، وأنا معترف بما أعطيتني، وأنا معترف بأن كل نعمة إنما هي منك، كما كان لك سبق العطاء، يا رب العالمين، أعطني وزدني!" وهذا معنى ذكر في دعاء زكريا -عليه السلام-، فقد قال زكريا في ضمن دعائه وسؤاله لرب العالمين: (وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا)[14] لقد أكرمتني المرة بعد المرة، وأعطيتني الكثير ولك عليّ الفضل العظيم. فأنا معترف بنعمك التي مضت، طامعًا في أن تعطيني أكثر وأكثر.

فانظر إلى هذه العبوديات العظيمة التي يتضمنها سؤالنا رب العالمين ودعاؤنا وصلاتنا، فإن المصلي لا بد أنه سائل الله، راجي الله، تقع منه هذه العبادات.

ننظر إلى سورة الروم مرة أخرى، بعدما أشار رب العالمين إلى عظيم الأدلة على استحقاقه للعبودية، أقبل على نبينا -صلَّى الله عليه وسلَّم- وعلى المؤمنين التابعين له

---

[14]) مريم: 4.

وأمرنا بهذا الأمر: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا) واعلم أن هذه الإقامة توافق الفطرة، وأن هذا الدين هو الدين القويم، اعتقد هذا ولا تكن مثل أكثر الناس الذين لا يعلمون، وكن منيبًا عائدًا إلى رب العالمين في كل أحوالك، وكن خائفًا، (وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) وهنا وقفنا أمام إقامة الصلاة وكيف أن إقامة الصلاة دعاء يتضمن دعاء العبادة ودعاء المسألة، وكيف في هذا الدعاء من العبوديات ما ذكرنا؛ العبوديات العشرة وهي:

1- عبودية اليقين بفقرنا لرب العالمين.

2- وعبودية التبرؤ من حولنا وقوتنا.

3- وعبودية معرفة رب العالمين بكرمه -سبحانه وتعالى-.

4- ومعرفته -عزَّ وجلَّ- بغناه.

5- ومعرفته بعلمه.

6- ومعرفته بسمعه.

7- ومعرفته بقربه.

8- ومعرفته بقدرته.

9- ومعرفته بسابق منّته وشكره -سبحانه وتعالى-.

10- والاقتداء برسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم- .

ثم في آخر الآية قال رب العالمين: (وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) فإن الطاعات والعبادات أقرب ما يكون لها وأخطر ما يأتي عليها الرياء، نعوذ بالله من الرياء ونسأله أن يسلمنا منه! أخطر ما يكون على العابد الشرك، والشرك في حق العابد المقبل على ربه يظهر في صورة الرياء، فبدلًا من أن يطلب الإنسان ثناء الله، ينحرف فيطلب ثناء الناس، نعوذ بالله من الشرك والرياء، نعوذ بالله من الخذلان، نسأله القبول! والحمد لله رب العالمين.

السلام عليكم ورحمة الله